مجاهدوا الحشد الشعبي في صورهم المستقاة من الحسين

الأستاذ المساعد الدكتور
عبدالزهرة زبون
الجامعة المستنصرية ـ كلّية التربية

لّما كان للأئمّة عليهم السلام انمياز لكلّ واحدٍ منهم بخاصيّة لحماية الإسلام؛ فقوّة الإسلام لعليّ، وحكمته للحسن. وفيض العبادة للسجّاد، وعلمُه للباقر، وفقهه للصادق، وصبره للكاظِم، وسلطانه للرضا، وهدايته للهادي، وحفظه للعسكريّ، وقيامه بالأمر للمهديّ. فإنّ شهيد العبرات؛ كانت لمظلوميّته وقعٌ خاصّ على كلّ الناس في كلّ العصور والأزمنة، وكانت الدافعيّة لكلّ مَن لبس لبوس الجهاد، وارتدى درع الدفاع عن الدين والعرض والأرض.

لذا كان للجهاد لسان يبيّن مقاصده ومعانيه، ولسان الجهاد هذا يسمّى مجاهداً؛ وهذا المجاهد يستقي من الحسين عليه السلام؛ ليثبّت جَنانه في سوح الوغى، ثمّ يصبّ روحه في طريقه الذي سار فيه على الحقّ؛ فعندذاك يلحق بركب الحسين.

وقد عرف المجاهد حبّ الحسين منذ أوّل رضعة ارتضعها من محالب أمّه؛ إذ إنّه يراه حوله في كلّ مكان؛ مهتديًا بذلك إلى كيفيّة توظيف هذا الحبّ في مجالات متعدّدة من حياته وتعرّف قيمتها الجماليّة، حيث أَلِف اسم الحسين أينما حلّ وارتحل بعد أن تدبّر الحياة وعركته؛ فسطّرها ممزوجة بهذا الحبّ حين استمدّها من مشاهداته وتفاعله مع بيئته؛ فقد ربطها حتّى مع أسباب معايشه ومع العالم المرئيّ من حوله، ورمز بها إلى قوًى خفيّة؛ يشعر بها ولا يراها أو يعرف كنهها، ثمّ عبّر عن خصائص الطبيعة الحزينة التي قد أدركها الحسّ وجلّاها، وأحاطت بها نفسه؛ فعرف أبعادها وزادها عمقًا.

ومن هنا فعلاقة المجاهد بالحياة علاقة موحية؛ إذ توحي هذه الحياة بتجلٍّ يسمو فيها مع الناس ومع نفوسهم؛ ليخلقوا وشائجَ بينهم وبين روح الحسين.

لذا؛ ومع حاجتنا إلى مزيد من القول في الحسين؛ ومع أنّ الكتب قد ملئت أوراقها فيه، ونهل منه الناس كثيراً؛ ووصلوا إلى ما وصلوا فيه؛ ولكنّ هذا البحث، وإن وُسم ظاهراً

بالحسين؛ فإنّه أراد أصحاب الحسين في هذا العصر؛ وهم مجاهدو الحشد الشعبيّ؛ إذ أرادوا أن يتساموا على مداركَ تهمّ حيواتهم، وتخامر وجداناتهم؛ ولكنّهم لم يروها مسبوكة في قوالب ألفاظ وتراكيب؛ تظللها المعاني والدلالات.

ثمّ إنّ البحث ربط دراسته هذه بشيء من التحليل النفسيّ؛ المرتبط بدواخل النفس الإنسانيّة؛ وفي السلوك الإنسانيّ؛ ليحاول أن يصفَ العالم المحيط بالمجاهد، والتعبير عن أفكاره وخلجات نفسه، والتأمّل فيها، ونقل هواجسها، ومخاوفها، وقلقها بعد أن يحوّلها في السطور؛ إذ إنّ هذه الأفكار تجري في إطار نفسيّ؛ لتصبح مؤثرات وحوافز يلقيها على المجتمع؛ محاولاً تبيين تصوّراته الّتي يعتقد بها، ويتسالم عليها.

لذا يحاول تبيين الصورة الحقيقيّة لدى المجتمع؛ وليكون جزءًا من التعامل الاجتماعيّ الإيجابيّ لا السلبيّ؛ لأنّه يشعر بأنّه جزء من الموقف العامّ لمن لبّى فتوى الجهاد الكفائيّ؛ فوجد البحث أنّ الفرد في الحشد الشعبيّ إنسان يعاني، وهو نفسه الإنسان الذي يبدع، وإبداع الإنسان يرجع في مصدره إلى الرغبة في تخفيف العبء الخاصّ، والعبء العامّ، وإلى محاولة تحقيق رغبات في عالم الواقع. فبعد أن لبّى الرجال - شبّانًا وكهولاً وشيبًا - القادرون على حمل السلاح فتوى المرجعيّة[1] في الجهاد الكفائيّ؛ تاركين الأهل والعمل، وأسباب معايشهم من أجل الدفاع عن تراب وطنهم بما فيه من مقدّسات، أنصتوا إلى وصايا المرجعيّة في التعامل مع حيثيات الحرب؛ وكانت هذه الوصايا مستندة في فحواها إلى وصايا رسول الله ﷺ، ووصايا الإمام عليّ عليه السلام في الحرب؛ فقد كان الإمام عليّ عليه السلام محبًّا للناس؛ يعاملهم بالحسنى ويعاملهم بالرفق، وكان يوصي ولاته بالرحمة؛ فقد جاء في عهده إلى مالك بن الحارث الأشتر عندما أرسله لتولّي أمور مصر: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعًا ضاريًا تغتنم أكلهم؛ فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه))[2].

ومن هنا يظهر تمسّك أبطال الحشد الشعبيّ بهذه المبادئ السامية؛ فنراهم لا يعتدون على بيوت الناس، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم؛ بل على العكس من ذلك؛ نجدهم يساعدون الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، وقد رأينا صورًا تعجز الكلمات عن

وصفها؛ من ذلك حين رأينا مجموعة من المجاهدين وهم يحتضنون أطفالاً ويركضون بهم وسط الرصاص الماطر عليهم من داعش؛ وقد اُستشهد بعضهم وهو يدفع بالطفل نحو مكان آمن؛ وكأنّه يبيّن للناس أنّه يفدي نفسه لتستمرّ الحياة؛ ويصدق فيه قول الإمام عليّ عليه السلام: ((إنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة في ما عقد بينهم من حبل هذه الأُلفة التي ينتقلون في ظلّها، ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة؛ لأنّها أرجح من كلّ ثمن، وأجلّ من كلّ خطر))[٣]؛ وهم ملتزمون بوصايا المرجعيّة الّتي نذكر منها:

الله الله في أموال الناس، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلاّ بطيب نفسه، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنّما حاز قطعة من قطع النيران، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠). وفي الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه لم يزل الله معرضاً عنه ماقتاً لأعماله التي يعملها من البرّ والخير لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويردّ المال الذي أخذه إلى صاحبه))[٤].

وجاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه نهى أن يُستحلّ من أموال من حاربه إلاّ ما وجد معهم وفي عسكرهم، ومن أقام الحجّة على أنّ ما وجد معهم فهو من ماله أعطى المال إيّاه، ففي الحديث عن مروان بن الحكم قال: ((لمّا هَزَمَنا عليٌّ بالبصرة ردّ على الناس أموالهم من أقام بيّنة أعطاه ومن لم يقم بيّنةٍ أحلفه))[٥].

واستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، كما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد أنّه بلغ من محافظته على وِرده أنّه يُبسط له نطعٌ بين الصفين ليلة الهرير فيصلّي عليه وِرده، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.

وإيّاكم والتسرّع في مواقع الحذر فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فإنّ أكثر ما يراهن عليه عدوّكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير تروٍّ واندفاعكم من غير تحوّط ومهنيّة، واهتمّوا بتنظيم صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم، ولا تتعجّلوا في خطوة قبل إنضاجها وإحكامها

وتوفير أدواتها و مقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسّك بنتائجها، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، وكونوا أشدّاء فوق ما تجدونه من أعدائكم فإنّكم أولى بالحقّ منهم، وإن تكونوا تألمون فإنّهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، اللهمّ إلا رجاءً مدخولاً وأمانيّ كاذبة وأوهاماً زائفة كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، حجبتهم الشبهات بظلمائها وعميت بصائرهم بأوهامها.

هذا وينبغي لمن قِبَلكم من الناس ممّن يتترس بهم عدوّكم أن يكونوا ناصحين لحماتهم يقدّرون تضحياتهم ويبعدون الأذى عنهم ولا يثيرون الظنة بأنفسهم؛ فإنّ الله سبحانه لم يجعل لأحد على آخر حقّاً إلاّ وجعل لذاك عليه حقّاً مثله، فلكلّ مثل ما عليه بالمعروف.

واعلموا أنّكم لا تجدون أنصحَ من بعضكم لبعض إذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وإن اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الأخطاء بل الخطايا وإن كانت جليلة، فمن ظنّ غريباً أنصح له من أهله وعشيرته وأهل بلده ووالاه من دونهم فقد توهّم، ومن جرّب من الأمور ما جُرّبت من قبل أوجبت له الندامة. وليعلم أنّ البادئ بالصفح له من الأجر مع أجر صفحه أجر كلّ ما يتبعه من صفح وخير وسداد، ولن يضيع ذلك عند الله سبحانه، بل يوفيه إيّاه عند الحاجة إليه في ظلمات البرزخ وعرصات القيامة. ومن أعان حامياً من حماة المسلمين أو خلفه في أهله وأعانه على أمر عائلته كان له من الأجر مثل أجر من جاهد.

وعلى الجميع أن يدَعُوا العصبيات الذميمة ويتمسّكوا بمكارم الأخلاق، فإنّ الله جعل الناس أقواماً وشعوباً ليتعارفوا ويتبادلوا المنافع ويكون بعضهم عوناً للبعض الآخر، فلا تغلبنّكم الأفكار الضيّقة والأنانيّات الشخصيّة، وقد علمتم ما حلّ بكم وبعامّة المسلمين في سائر بلادهم حتّى أصبحت طاقاتهم وقواهم وأموالهم وثرواتهم تُهدر في ضرب بعضهم لبعض، بدلاً من استثمارها في مجال تطوير العلوم واستنماء النعم وصلاح أحوال الناس. فاتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة، أمّا وقد وقعت الفتنة فحاولوا إطفاءها وتجنّبوا إذكاءها واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واعلموا أنّ الله إن يعلم في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا أخذ منكم، إنّ الله على كلّ شيء قدير.

والباحث عبّر ببحثه هذا عن أفكاره الأساسيّة؛ ليرسم الخطى للقارئ ثمّ يشاركه المسير معه نحو المشاركة في هذه الحرب المقدّسة، وإن لم يذهب إلى السواتر الإماميّة، وإن لم يرمِ أيّة رصاصة؛ فهو في حماية حقيقيّة من لدن المجاهد.

وممّا يحكم به العقل أنّ الأمّة، أو البلد، أو المجتمع إنْ عُرِّض للظلم، أو للاعتداء الخارجيّ، أو للتجاوز على حقوقه، وأهريق ماء وجهه، وانتهكت كرامته؛ فحينئذٍ لا بدّ لذلك المجتمع وتلك الأمّة أو البلد بحكم العقل والفطرة التي جُبل عليها مِن أنْ يدافع عن حقوقه؛ بل إنّ العقل يرى أنّ الحرب واقعة لا بدّ منها، ولا يمكن التنصّل منها؛ وإنْ أُلجئت إليها؛ فهذا حقّ طبيعيّ لذلك المجتمع، وتلك الأمّة.

فحين تُفرض الحرب على مجتمع ما؛ فلا ينظر المجتمع الذي فُرضت عليه الحرب، نظرة سيّئة؛ بل هي نظرة تبعث بالطاقة في نفوسهم؛ وتكون لهم دافعيّة تدفعهم لبذل النفس؛ إذ لم يبقَ أمام المجتمع إلّا طريقان؛ طريق القتل والإبادة والاستباحة، وطريق الدفاع عن الأرض والعرض والنفوس، وحمل السلاح بوجه العدوّ مهما كان شكله، أو وصفه، أو عنوانه.

ومن هذا المنطلق، وعلى هذا الدليل الذي أقرّه المجتمع الدوليّ؛ مع أنّه يرى أنّ الحرب مذمومة؛ ولكنّه يرى أنّ الحرب محمودة ومشروعة، وعمل قانونيّ إذا ما تعرّض أيّ مجتمع إلى الاعتداء والتجاوز.

ومجتمعنا العراقيّ؛ وهو من ضمن المجتمعات التي في هذا العالم؛ تؤمن بهذا ولا سيّما أنّ غالبيّة الشعب العراقيّ هم مَن يدينون بالإسلام، وكذلك سائر الأقلّيّات الدينيّة الأخرى تؤمن بالمبدأ نفسه في الدفاع عن النفس؛ ولم يكن الإسلام ليترك الحرب من دون ضوابطَ تحدُّ من إمكانيّة شنّها، ومن شهوة القتل عند المقاتلين والقادة، وتحمي الضعفاء والعاجزين وغير المشاركين؛ بل هو وضع المبادئ الأساسيّة لما يسمّى اليوم (القانون الإنسانيّ)؛ وهو القانون العامّ واجب التطبيق في كلّ حرب مهما كان انتماء المشاركين فيها؛ أي: أن تشكّل الحدّ الأدنى واجب الاحترام في الحرب على نحو عامّ؛ وهي تتمثّل بأحكام وردت في القرآن الكريم، وبوصايا كان الرسول الكريمﷺ يزوّدها الجيوشَ المتوجّهة إلى القتال.

ومن أحكام القرآن العامّة عدم القتال من حيث المبدأ، والدعوة بالحكمة والموعظة

الحسنة؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥). ولكن حاجات الدفاع عن الأنفس، والعقيدة، والمال؛ اقتضت أنْ يلجأ المسلمون إلى القتال لردع العدوان.

لذا إنّ الدفاع واجب؛ سواء الدفاع عن النفس بنحو فرديّ، أو الدفاع عن البلد إنْ تعرّض للهجوم؛ فيقاتل الإنسان جنبًا إلى جنب مع أهل البلد أعداءهم.

دافعيّة القتال في القرآن والسنّة النبويّة وروايات أهل البيت:

إنّ الغالبيّة من الناس الّذين يعيشون على أرض العراق هم مسلمون؛ إذ لا بدّ لنا من ذكر شيء من معنى (الجهاد) في القرآن، وفي الحديث النبويّ، وروايات أهل البيت عليهم السلام؛ ليتسنّى لنا الولوج إلى الجهاد الدفاعيّ أو الكفائيّ الّذي لبّى الإنسان العراقيّ بكلّ فئاته العمريّة، والدينيّة، والمذهبيّة؛ فتوى المرجعيّة لصدّ مَنْ دنّس أرضنا من الّذين يؤمنون بإسلام وحشيّ دمويّ لا يقيم للإسلام الحقيقيّ وزنًا، ويؤمن بالإله الشابّ الأمرد، وبالنبيّ الّذي يبول واقفًا، وترقص بين يديه الجواري والمغنيّات، ويفعل نكاح الجهاد، ويتوعّد الناس بالذبح حين يشير بإصبعه إلى عنقه، ويقول جئتكم بالذبح، وغيرها من الترّهات.

- في القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب جهاد؛ لأنّه احتوى على منهج يشمل الحياة في كلّ مفاصلها وحيثيّاتها؛ في كلّ زمان ومكان؛ وهو دائم في قوّته، وحكمته، وتحدّيه؛ لكلّ مناهج الجهل، والبغي، والباطل، والركون إلى الشيطان الرجيم.

لذا كانت أولى الآيات التي وردت في تشريع حكم الجهاد؛ هي الآيات الأربعة التي وردت في سورة الحجّ؛ فحين حملها المؤمنون؛ جاهدوا بها؛ على أنّها كلمة طيّبة، أو كلمة صاعقة، أو عمل كادّ، أو تجهيز لعدّة، وإعداد لعدد؛ فصراع مسلّح.

وإن إنعام النظر في دلالات تلك الآيات يحيلنا إلى أنّ المعنى الحقيقيّ من وراء تشريع الجهاد هو الدفاع عن النفوس، والأعراض، والأموال.

والآيات هي:

١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨).

٢- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩).

٣- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

٤- ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

إنّ هذه الآيات الأربع هي الآيات الأولى التي شرّعت أمر الجهاد؛ وقد أشارت إلى معناه الحقيقيّ، والغرض المرجوّ من تشريع ذلك الحكم؛ لذا يترتب على إنعام النظر هذا ضرورة فهم الغرض من الجهاد؛ وهي بالآتي بيانه:-

أ - إنّ الآيات تبيّن بوضوح أنّ المسلمين لم يكونوا هم الذين اختاروا طريق الحرب والقتال، وشهر السلاح في وجوه خصومهم؛ بل إنّ المسلمين اضطرّوا إلى الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم؛ فهم في حقيقة الأمر مدافعون لا مهاجمون.

ولا ريب أنّ الدفاع عن النفس والمال والعقيدة حقّ طبيعيّ، وأمر مشروع، بل واجب بحكم العقل، وإلاّ فإنّ النكوص والهروب من الحرب لا يعني إلاّ الذلّ والهوان الّذي تأباه النفوس الأبيّة والرجال الأحرار؛ قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ((فوالله ما غُزي قومٌ قطُّ في عقر دارهم إلّا ذَلُّوا))(٦).

ب - الدليل الآخر على تجاوز العدوّ وتماديه في غيّه؛ هو أنّهم إنّما واجهوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بسبب إيمان المسلمين واعتقادهم بالله الواحد القهّار؛ وكأنّ الاعتقاد بالله - بنظر هؤلاء المشركين - يعدّ جرمًا وذنبًا كبيرين لا يحقّ لمعتقده أن يعيش بين أوساط المشركين، بل يجب عليه أن يترك وطنه وداره، ويفارق الأهل والأحبّة؛ وإلّا فسيواجه القتل والإبادة؛ عندئذٍ يكون الجهاد مواجهةً وصراعًا معهم، ولا ريب أنّ كلّ مَن يدخل الصراع يبذل قصارى جهده لينتصر. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت

دنيا ولا دين إلّا به))[٧].

ج - إنّه يجب على المؤمنين بالله واليوم الآخر أن يطهّروا الأرض من لوث المشركين وفسادهم، وإلّا تكون عاقبة الأمر ما أشارت إليه الآية المباركة ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)؛ فعندما يتعرّض المؤمنون لتهديد حقيقيّ في نفوسهم، أو أعراضهم، أو أموالهم؛ فلهم أنْ يدافعوا عن أنفسهم بالقتال؛ ليصونوا دار الإسلام من الأخطار، والمحافظة على حرمات المسلمين؛ قال رسول الله ﷺ: ((مَن قُتل دون مظلمته فهو شهيد))[٨].

د - إنّ الله تعالى إنّما وعد المجاهدين بالنصر والغلبة، وإنّ عاقبة الأمور ستكون من نصيبهم؛ لأنّهم إنْ امتلكوا مقاليد الأمور وأسباب النصر من العدّة والعدد؛ وأصبح زمام الأمور بأيديهم؛ فإنّهم حينئذٍ يستغلّون هذه القدرات والإمكانات المادّيّة في سبيل الله، وتعبيد الطريق أمام النّاس للتوجّه إلى التوحيد، ونشر القيم والمعارف الحقّة؛ لا استخدامها في القتل وسفك الدماء، وإشاعة الفحشاء والظلم والمنكر في المجتمع؛ وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة؛ فقد قال سبحانه ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١). قال رسول الله ﷺ: ((إنّ لكلّ أمّةٍ سياحةً، وسياحةُ أمّتي الجهاد في سبيل الله))[٩].

وعلى أيّة حال؛ نفيد من هذه الآيات أنّ الجهاد وسيلة إلهيّة قد تصبح واجبة مفروضة؛ كالجهاد للدفاع عن المسلمين، وعن الدين عند الأخطار. وقد تصبح سنّة مؤكّدة؛ كالجهاد في سبيل إبلاغ الرسالة، ونشر الدين في الآفاق.

وقد ورد في في روايات أهل البيت عليهم السلام بيان دلالات الجهاد؛ فقد روى فضيل بن عياض أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الجهاد؛ أ سنّة هو أم فريضة؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا يقام إلّا مع فرض، وجهاد سنّة. فأمّا أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عزّ وجلّ؛ وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الّذين يلونكم من الكفّار فرض، وأمّا الجهاد الّذي هو سنّة لا يقام إلّا مع فرض؛ فإنّ مجاهدة

العدوّ فرض على جميع الأمّة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب؛ وهذا هو من عذاب الأمّة؛ وهو سُنّة على الإمام أنْ يأتيَ العدوّ مع الأمّة فيجاهدهم، وأمّا الجهاد الّذي هو سُنّة؛ فكلّ سُنّة أقامها الرجل، وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها؛ فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال؛ لأنّه أحيا سُنّة؛ قال النبيّ ﷺ: ((مَن سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجرها من عمل بها من غير أن ينتقص من أجورهم شيء))[١٠].

وهذا الحديث من الأخبار المحكمة التي تفصّل القول في شُعب الجهاد المختلفة؛ علمًا أنّه قد توسّعت آيات الكتاب وأحاديث النبيّ وأهل بيته الطاهرين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام؛ قد توسّعت في كلّ شُعب الجهاد. مع علمنا أنّ الإسلام لا يقرّ الحرب إلّا دفاعًا عن النفس، أو دفاعًا عن الآخرين من الحلفاء أو عن الحقّ، أو عقوبة على نكث العهود الّذي هو اعتداء أو معاودة للاعتداء. وأخيرًا وبعد إقامة السلطة يسمح بالقتال للدفاع عن الدولة الإسلاميّة:

١- لم يسمح للمؤمنين بأن يقاتلوا بَدءًا؛ إلّا بعد أن اضطرّوا إلى ترك ديارهم وأموالهم بفعل الاعتداءات والضغوط ـ ولئن كان في بعض التثبّت وضبط النفس وإتمام الحجّة ـ رعاية للموازين والقيم النبيلة ـ بعض الخسارة العاجلة أحياناً فإنّه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجاً، وفي سيرة الأئمة من آل البيت عليهم السلام أمثلة كثيرة من هذا المعنى، حتّى إنّهم كانوا لا يبدؤون أهل حربهم بالقتال حتى يبدؤوا هم بالقتال وإن أصابوا بعض أصحابهم؛ ففي الحديث أنه لما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام: لا يبدأ أحدٌ منكم بقتالٍ حتّى آمركم، قال بعض أصحابه: فرموا فينا، فقلنا يا أمير المؤمنين: قد رُمينا، فقال: (كفّوا)، ثمّ رمونا فقتلوا منّا، قلنا يا أمير المؤمنين: قد قتلونا، فقال: (احملوا على بركة الله)[١١]، وكذلك فعل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء.

٢- السماح لهم بالقتال - شريطة عدم الاعتداء -؛ إذ لم يكتفِ بالإذن؛ ولاسيّما بعد أن تفاقمت اعتداءات الكفّار والمشركين؛ فطلب من المؤمنين استئصالهم. والمجاهدون في الحشد الشعبيّ ملتزمون بوصايا المرجعيّة حين تقول: الله الله في الحرمات كلّها، فإيّاكم والتعرّض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد، واحذروا

أخذ امرئ بذنب غيره، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، ولا تأخذوا بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم، فإنّ الحزم احتياط المرء في أمره، والظنّة اعتداء على الغير بغير حجّة، ولا يحملنّكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرماته كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨). وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة له في وقعة صفّين في جملة وصاياه: ((ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذىً وان شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم))[١٢]، وقد ورد أنّه عليه السلام في حرب الجمل - وقد انتهت - وصل إلى دار عظيمة فاستفتح ففُتحت له؛ فإذا هو بنساءٍ يبكين بفناء الدار، فلمّا نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن هذا قاتل الأحبّة، فلم يقل شيئاً، وقال بعد ذلك لبعض من كان معه مشيراً إلى حجرات كان فيها بعض رؤوس من حاربه وحرّض عليه كمروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير: ((لو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة))[١٣].

كما ورد أنّه عليه السلام قال في كلام له وقد سمع قوماً من أصحابه كحجر بن عَديّ، وعمرو ابن الحمق يسبّون أهل الشام أيّام حربهم بصفين: ((إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم..... اللهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدِهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به))[١٤] فقالوا له يا أمير المؤمنين: نقبل عِظتك ونتأدّب بأدبك.

٣- الدفاع عن الحلفاء؛ فقد أقرّ الدفاع عن الحلفاء؛ ولاسيّما إذا كانوا من المستضعفين غير القادرين على ردّ الاعتداء.

٤- الدفاع عن الحقّ: فيقوم على ردع محاولات التصدّي للدين الجديد؛ وقد نبّهت المرجعيّة على ذلك؛ إذ قالت: ولا تمنعوا قوماً من حقوقهم وإن أبغضوكم ما لم يقاتلوكم، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه جعل لأهل الخلاف عليه ما لسائر المسلمين ما لم يحاربوه، ولم يبدأهم بالحرب حتّى يكونوا هم المبتدئين

بالاعتداء، فمن ذلك أنّه كان يخطب ذات مرّة بالكوفة فقام بعض الخوارج وأكثروا عليه بقولهم (لا حكم إلاّ لله) فقال: ((كلمة حقّ يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت ايديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بحربٍ حتى تبدؤونا به))[١٥]. وذلك في حالتين:

أ. منع حملة الدين من التبشير به في أوساط الناس، وهذا مصداق للصدّ عن سبيل الله. وهؤلاء الذين يصدّون عن السبيل ولا يراعون عهودهم فعليكم قتالهم.

ب. فتنة المؤمنين بإجبارهم على ترك دينهم؛ وذلك أنّ الفتنة أعظم خطرًا من القتل.

٥- نكث العهود: والتنكّر للكلام المعطى؛ فإنّه يبيح بكلّ الأعراف أن يتحلّل الطرف الآخر المتعاقد من تعهداته، وقد أباح القرآن القتال بوجه مَن دأبه ألّا يلتزم بالعهود إلّا إذا تاب.

٦- الدفاع عن السلطة؛ فقد أُمِر المسلمون به بعد أن أقاموا دولتهم في المدينة، وكان اليهود والمشركون يعملون على استئصال هذه الدولة وقتل المسلمين أو طردهم.

صور المجاهد في الحشد الشعبيّ:

حاول الإعلام المغرض تشويه صورة المجاهدين في الحشد الشعبيّ على أنّهم قتلة وسرّاق ونهّاب لأموال الناس وتدمير بيوتهم، وأنّهم لا حقّ لهم بالقتال في المناطق الّتي لا ينتمون إليها مذهبيًا وغير ذلك من تُهَم وافتراءات.

ولكنّ الحقيقة تأبى إلّا سطوعًا؛ إذ إنّهم ملتزمون بصورة المجاهد الرافض لكلّ صنوف الظلم والاستغلال والاحتكار والاستعباد؛ إذ في ذهنه(هيهات منّا الذلّة)؛ وهم مجاهدون، محرّرون، يحاربون الفقر والحرمان والطغيان والجهل، وهم مجاهدون عابدون يقضون لياليهم وأيّامهم بالصلوات والصيام والدعاء؛ ويقتدون بمن اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه الّذي كان يوصي مالك بن الحارث الأشتر: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونّن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم؛ فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطِهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيَك الله من عفوه وصفحه))[١٦].

وهم ملتزمون بأخلاق الحسين في السلم والحرب؛ ومن هذه الصور:

١- صورة الإيمان: المجاهد مؤمن بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، وبالقرآن كتابًا وبمحمّد نبيًّا ﷺ وبآل البيت أئمّة عليهم السلام وبالأنبياء والملائكة والمعاد والبعث والنشور؛ لذلك هو يخاف الله، وفي ذهنه أنّ الجهاد من أفضل العبادات. ولا يخاف الأعداء الّذين يؤمنون بالإسلام المزيّف الّذي يقوم على القتل والإرهاب؛ فهم ملتزمون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران:١٧٣/ ١٧٤). وقد أقضّت مصيبة الحسين مضاجع أباة الضيم؛ فنظرة سريعة إلى ما تركه لهم الحسين من أحاسيس رقيقة تنمّ عن فرط تأثرهم البالغ به. نقف على حقيقة التأثير العميق الذي حفرته واقعة الطفّ في حركة المجاهدين؛ ولذا المجاهد لا يتعرّض لمن لمْ يقاتله؛ وهو ملتزم بوصيّة المرجعيّة القائلة: وإياكم والتعرّض لغير المسلمين أيّاً كان دينه ومذهبه فإنّهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرّض لحرماتهم كان خائناً غادراً، وإنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه، وقد قال عزّ وجلّ في كتابه عن غير المسلمين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨). بل لا ينبغي أن يسمح المسلمُ بانتهاك حرُمات غير المسلمين ممّن هم في رعاية المسلمين، بل عليه أن تكون له من الغيرة عليهم مثل ما يكون له على أهله، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لمّا بعث معاوية (سفيان ابن عوف من بني غامد) لشنّ الغارات على أطراف العراق؛ تهويلاً على أهله؛ فأصاب أهل الأنبار من المسلمين وغيرهم، اغتمّ أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك غمّاً شديداً، وقال في خطبةٍ له: ((وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلُبها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً

ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً))[١٧].

٢- صورة الثقة بالنفس: الثقة بالنفس شرط أساسيّ لكي يؤدّي المجاهد وظيفته على الوجه الأكمل؛ وهي الّتي من أجلها باع نفسه وفي نفسه يتردّد قول الإمام الحسين عليه السلام:((اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك؛ ففرّجته عنّي، وكشفته؛ فأنت وليُّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسَنة، ومنتهى كلّ رغبة))[١٨]؛ لذا المجاهد واثق بنفسه لأنّه مؤمن؛ وهذا الإيمان يؤدّي به إلى الثقة بالنفس، ويكون غير متخاذل ولا خائف، وأنّه كفوء لمواجهة كلّ المواقف حين القتال، ولا تتأثر هذه الثقة بشيء يغيّرها. وفي نفوسهم يتردّد قول الإمام الحسين يوم عاشوراء؛ وهو يجود بنفسه: ((إنْ كان هذا يرضيك فخذ حتّى ترضى))[١٩]؛ لذا نرى الابتهاج والسعادة الّتي تبدو على وجوه الأفراد وفرحهم بالانتصارات؛ إذ إنّ الناس لمْ يفهموا لِمَ يلقي المجاهد نفسه بين لهوات الحرب ولأوائها؛ إنّه يذوق طعم النصر ويريد للناس أن يذوقوه، وما دام هو لا يستطيع إفهامهم كيف يكون الطعم، وما داموا لا يشعرون بالطعم؛ لذا يلجأ إلى عالمه الخاصّ لعلّهم يفهمون. لأنّه ملتزم بوصيّة المرجعيّة التي تقول: فالله الله في النفوس، فلا يُستحلّن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الاحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإنّ لقتل النفس البريئة آثاراً خطيرة في هذه الحياة وما بعدها، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام شدّة احتياطه في حروبه في هذا الأمر، وقد قال في عهده لمالك الأشتر - وقد عُلِمت مكانتُه عنده ومنزلتُه لديه - ((إيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة وأعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوّين سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لانّ فيه قود البدن))[٢٠]؛ فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها

المكيدة بكم، فقدّموا التحذير بالقول أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدّي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربّكم واحتياطاً على النفوس البريئة.

٣- صورة وضوح الهدف وتحقيقه: المجاهد لديه وضوح في رؤية الهدف؛ لأنّه يعلم أنّه لا يحارب من أجل المكاسب والطموحات الشخصيّة؛ إنّما يعمل من أجل تحقيق رضوان الله تعالى، وأنّه يعمل من أجل هدف سامٍ؛ فلا شكّ في أنّه سيفدي نفسه وحياته، ولا شكّ أنّه سيستعذب الموت في تحقيق أهداف شعبه التي هي أهدافه بالدرجة الأولى؛ والمجاهدون في هذا الموضع ملتزمون بقول الإمام الحسين: ((اشتدّ غضب الله على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن نبيّهم، أمَا والله لا أجيبهم إلى شيء ممّا يريدون حتّى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي))[٢١]؛ لذا إنّ الروح التي ليس لها شغل بالجهاد؛ أشبه ما تكون بأرض يباب يأتيها غيث من السماء؛ فلا تستجيب؛ ولكنّ روح المجاهد ممرعة خضراء ينبت فيها كلّ شيء طيّب؛ لذا المجاهد يبذل نفسه، ويعطي من وقته، وحياته، وراحته في سبيل الله تعالى؛ وهذا ما يسمّى البذل، ولو اقتضى أن يعطي الجهاد أكثر ممّا يعطي نفسه من حاجتها للدعة والراحة والاستقرار صار البذل إيثاراً؛ يقول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وقد ورد في الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: ((أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله))[٢٢]. وأبلغ معاني البذل والعطاء في سبيل الله تعالى أن يقدّم الإنسان دنياه قربانًا لله تعالى فداءً لأرض المسلمين ومقدّساتهم، ودفاعًا عن الشرف والكرامة والقضايا المحقّة. والإصرار على الحصول على أحسن النتائج، وتحقيق الهدف وعدم قبول أيّ حلّ وسط لإنهاء القتال: ولا يتقن استعمال هذه اللغة إلّا المجاهد، فهو مَن يعرف مفرداتها؛ فهو يسلك سلوكًا بشريًّا في روح ملائكيّة توجِد مقارنةً بين فعله وسلوكه في الدنيا، وبين فعل الآخرين وسلوكهم، وحينئذٍ لايقترب إلى عالم النقاء إلّا من يريد أن يتعلّم تلك اللغة، ويحصل على النتائج المرجوّة. والمجاهد يعمل بوصايا المرجعيّة حين تقول: كما أنّ للقتال مع البغاة والمحاربين من المسلمين وأضرابهم أخلاقاً وآداباً أُثرت عن الإمام عليّ عليه السلام في مثل هذه المواقف، ممّا جرت عليه سيرته وأوصى به

أصحابه في خطبه وأقواله، وقد أجمعت الأمّة على الأخذ بها وجعلتها حجّة فيما بينها وبين ربّها، فعليكم بالتأسّي به والأخذ بمنهجه، وقد قال عليه السلام في بعض كلامه مؤكّداً لما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله - في حديث الثقلين والغدير وغيرهما: ((انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدًى ولن يعيدوكم في ردى؛ فإن لَبدُوا فالبدُوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا))[٢٣].

٤- صورة العمل في سبيل الله: وهو من أكثر الأشياء جمالاً وثراءً وخصوبة في حياة البشر؛ منه أثرى الإنسان حياته؛ إذ أضفى عليه من بديع الجمال وبهائه ما لا يحدّه واصف، أو يحيط به خيال؛ فالعمل في سبيل الله يمور بألوان شتّى؛ فحيثما ننظر إلى المجاهد ننظر التزامه بقول الإمام الحسين: ((وإنّي لم أخرج أشِرًا ولا بطِرًا وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأن أنهى عن المنكر))[٢٤]. والمجاهد ملتزم كذلك بوصيّة المرجعيّة الّتي تدعوه إلى العمل بأهمّ ركن؛ وهو الصلاة؛ إذ تقول الوصيّة: ولا يفوتنكم الاهتمام بصلواتكم المفروضة، فما وفد امرئٌ على الله سبحانه بعمل يكون خيراً من الصلاة، وإنّ الصلاة لهي الأدب الذي يتأدّب الانسان مع خالقه والتحية التي يؤدّيها تجاهه، وهي دعامة الدين ومناط قبول الأعمال، وقد خففها الله سبحانه بحسب مقتضيات الخوف والقتال، حتى قد يكتفى في حال الانشغال في طول الوقت بالقتال بالتكبيرة عن كل ركعة ولو لم يكن المرء مستقبلاً للقبلة كما قال عزّ من قائل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩). على أنّه سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ولا يجتمعوا للصلاة جميعاً بل يتناوبوا فيها حيطةً لهم. وقد ورد في سيرة أمير المؤمنين وصيته بالصلاة لأصحابه، وفي الخبر المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة: ((يصلّي كلّ إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسايفة والمعانقة وتلاحم القتال، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلى ليلة صفّين - وهي ليلة الهرير - لم تكن صلاتهم الظهر والعصر

والمغرب والعشاء ـ عند وقت كل صلاة ـ إلاّ التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء، فكانت تلك صلاتهم، لم يأمرهم بإعادة الصلاة))[٢٥].

٥- صورة التسليم لله: وهو الطريق الأقرب للوصول إلى الله؛ فهو المفتاح للكشف عن قوى النفس الخفيّة، ولا يعرف فكّ رموز هذه المغاليق إلاّ الحسين؛ إذ إنّه لم يكترث بما سيحدث له ولأهل بيته؛ ما دام ذلك بيد الله؛ والحسين ملتزم بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢)؛ فالحسين هو القادر على تحسّس مكامن الحقيقة وخوافيها، والتماهي في ضوئها؛ لأنّه وضع روحه على كفّه فاستطاع الوصول. يقول الشاعر محاكيًا حال الحسين:

تركت الخلق طرًّا في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

أمّا مجاهدو الحشد الشعبيّ؛ فقد تأسّوا بالحسين؛ ليتركوا العيال، والزوجات، والأمّهات، والآباء، والأقارب، والأصدقاء، وأعمالهم، وأسباب معايشهم من أجل الدفاع عن أرض المقدسّات، عراق الحسين؛ لذا إنّ الجهاد يصلح أن يكون صفة للتسليم لله؛ وهي صفة لها (جمال ذاتيّ)؛ وهي منبع ثرّ للجمال المستقى من حُسْن الجنّة، فثمّة جمال للكلمة لا يعلن عن نفسه إلّا والكلمة ممتزجة بروح الجهاد؛ لذا يكون هناك ميل يسود جميع أفراد الجماعة المجاهدة إلى التماسك بدافع من أنفسهم لا من خضوعهم المجرّد فحسب، للسلطة المهيمنة عليهم، وكذلك اتّجاه الجماعة إلى مقابلة الظروف والمواقف المختلفة الداخلية الّتي يمكن أن تنشأ في نطاق الجماعة، وتحدث صراعًا داخليًّا، بحيث ينتهي الأمر إلى استعادة التماسك وروح الوحدة. وكذلك يكون هناك اتّجاه نفسيّ لدى كلّ فرد من أفراد الجماعة إلى الترحيب بالعمل والتزامل مع بقيّة أفراد الجماعة. وينشأ عن ذلك قلّة الميل إلى التباعد والتنافر لدى أفراد الجماعة. ويؤدّي ذلك إلى حسن التصرّف؛ ومن بعدُ يؤدّي إلى دفع الشبهات عند مَن اشتبهت عنده الأمور؛ لذا التزم المجاهدون بوصيّة المرجعيّة القائلة: واعلموا أنّ أكثر من يقاتلكم إنّما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلّين بما يوجب قوّة الشبهة في أذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادرؤوها بحسن تصرّفكم ونصحكم وأخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة

والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنّه أحياه، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله.

ولقد كان من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام عنايتهم برفع الشبهة عمّن يقاتلهم، حتّى إذا لم تُرجَ الاستجابة منهم، معذرة منهم إلى الله، وتربيةً للأمة ورعايةً لعواقب الأمور، ودفعاً للضغائن لاسيّما من الأجيال اللاحقة، وقد جاء في بعض الحديث عن الصادق عليه السلام أنّ الامام عليّاً عليه السلام في يوم البصرة لما صلا الخيول قال لأصحابه: ((لا تعجلوا على القوم حتّى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم، فقام إليهم، فقال: يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جورة في الحكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا، قال فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا))[٢٦]. وعلى مثل ذلك جرى الإمام الحسين عليه السلام في وقعة كربلاء، فكان معنيّاً بتوضيح الأمور ورفع الشبهات حتّى يحيا من حيّ عن بيّنة ويهلِك من هلك عن بيّنة، بل لا تجوز محاربة قوم في الإسلام أيّاً كانوا من دون إتمام الحجّة عليهم ورفع شبهة التعسّف والحيف بما أمكن من أذهانهم كما أكّدت ذلك نصوص الكتاب والسنة.

٦- صورة السكينة: هي أساس مكين، وركيزة قويّة في نفس المجاهد؛ وهي حال سابقة على التسليم؛ فالتسليم أن تسلم أمرك لله، وتقول: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)؛ فقد يكون الإنسان غير راضٍ عن الأمر؛ ولكنّه يرضى به؛ لأنّه أمر الله لا أمر غيره؛ على حين السكينة تزيد عن التسليم بالرضا وتحقيق الاطمئنان القلبيّ؛ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٤)، ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتراف بأنّ السكينة لها التأثير في نفوس الأفراد والجماعات والشعوب وما زال، وأنّها الطريق الوحيد لفهم الإسلام.

قال بعض الرواة: ((فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ، قد قتل وُلْده، وأهل بيته وصحبه، أربط جأشاً منه، ولا أمضى جَناناً، ولا أجرأ مقدِماً، ولمْ أرَ قبله، ولا بعده مثله، ولقد

كانت الرجال لتشدّ عليه؛ فيشدّ عليها، فتنكشف بين يديه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه؛ وهو يقول: ((لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم)))[٢٧]. فتؤدّي هذه السكينة المتكوّنة في نفس المجاهد إلى نفي الجور عن نفسه؛ ثمّ تأتي وصيّة المرجعيّة على نفسه كالزلال البارد؛ وهي تقول: ولا يظنّنّ أحدٌ أن في الجور علاجاً لما لا يتعالج بالعدل؛ فإنّ ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة إليها من غير انتباه إلى عواقب الأمور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد، ولا اطّلاع على سنن الحياة وتاريخ الأمم، حيث ينبّه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحنٍ للنفوس ومشاعر العداء ممّا يهدّ المجتمع هدّاً، وقد ورد في الأثر: ((أنّ من ضاق به العدل فإنّ الظلم به أضيق))[٢٨]، وفي أحداث التاريخ المعاصر عبرةٌ للمتأمل فيها، حيث نهج بعض الحكّام ظلم الناس تثبيتاً لدعائم ملكهم، واضطهدوا مئات الآلاف من الناس، فأتاهم الله سبحانه من حيث لم يحتسبوا حتّى كأنّهم أزالوا ملكهم بأيديهم.

٧- صورة التوجّه نحو الله: المجاهد متوجّه إلى فهم الحياة؛ لأنّه في سبيل الحقّ يجلو العمى عن أعين الناس، وينير الصباحات في قلوبهم؛ ليكون هناك بناء ضخم يريد له الهادمون التقويض؛ وبعد ذلك يؤسّس البناء على أساس صحيح ومتين؛ ليقوم النّاس من وهدتهم التي هم فيها؛ إذًا المجاهد إنسان ربّانيّ؛ يفهم ما قاله الإمام عليّ عليه السلام: ((الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه))[٢٩]. والمجاهد ملتزم بوصايا المرجعيّة التي تقول: الله الله في حرمات عامّة الناس ممن لم يقاتلوكم، لاسيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتّى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنّه لا تحلّ حرمات من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم. وقد كان من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربه ونسائهم وذراريهم رغم إصرار بعض من كان معه - خاصّة من الخوارج - على استباحتها وكان يقول:((حارَبنا الرجال فحاربناهم، فأمّا النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهم لأنهنّ مسلمات وفي دار هجرة، فليس لكم عليهنّ سبيل، فأمّا ما أجلبوا عليكم واستعانوا به على حربكم وضمّه عسكرهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله تعالى لذراريهم، وليس لكم عليهنّ ولا على الذراري

من سبيل))[٣٠].

٨- صورة الشعور بالقوّة: ينماز الفرد المجاهد بالشعور بالقوّة وإن كان جسمه نحيلاً، أو أنّه ليس مفتول العضلات، أو ما شابه؛ ولكنّه يستمدّ قوّته ومجالدته ومطاولته من شجاعة العبّاس، وصبر الحسين؛ لذا نرى المجاهدين لا يبالون لا بِحرّ، ولا ببرد، ولا بأيّ ظروف بيئيّة، أو أحوال جوّيّة، وكذلك نراهم لا يعرفون معنًى للضعف والاستكانة في نفوسهم؛ بل هم ثابتون لا يتزحزحون؛ ومن بعدُ هم لا يمكن أن ينهاروا أو يستسلموا. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦). والمجاهد في ذهنه سيدُهُ الحسين؛ بعدما قُتِل عبدالله الرضيع بسهم حرملة؛ كيف حمل على الأعداء؛ نقل ابن شهر آشوب قوله: وعند ذلك عرف عمر بن سعد أنّه ليس في الكون تلك القوّة والقدرة التي تقوم للإمام الحسين عليه السلام ولو أنّ الأمر استمرّ على هذا المنوال لجعل جيش ابن سعد كلّه طعمًا لسيف الإمام الحسين، فلا غروَ أنّه صاح بعسكره: ((الويل لكم أ تدرون مَن تقاتلون؟، هذا ابن الأنزع البطين!، هذا ابن قتّال العرب!؛ فاحملوا عليه من كلّ جانب. فحملوا عليه، وأحاطوا به من كلّ الجهات، وحالوا بينه وبين رحله))[٣١]. فهذا الشعور بالقوّة يؤدّي بالمجاهدإلى التحمّس لأداء الواجب مهما كان شاقًا؛ لذا يكون المجاهد هو من أعلى الناس منزلة؛ لأنّه يشعر بأنّه عندما يستشهد سيجاور النبيّ وأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ فبعدَ أن ينزف ذلك الدم الزاكي تصعدُ به الملائكة نحو الملكوت الذي يحيا فيه الحياة الحقيقيّة؛ وهي دار الخلود. فنراه متحمسًا في تأدية واجبه.وهو ملتزم بوصايا المرجعيّة التي تنصّ بعض فقراتها على أنّ الله سبحانه وتعالى كما ندب إلى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامةً من دعائم الدين وفضّل المجاهدين على القاعدين؛ فإنّه عزّ اسمه جعل له حدوداً وآداباً أوجبتها الحكمة واقتضتها الفطرة، يلزم تفقهها ومراعاتها، فمن رعاها حقّ رعايتها أوجب له ما قدّره من فضله وسنّه من بركاته، ومن أخلّ بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله. وتقول فقرة أخرى؛ فللجهاد آدابٌ عامّة لابدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله

يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال؛ فقد صحّ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث بسريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثمّ يقول سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطرّوا إليه))[٣٢].

٩- صورة التوكّل على الله: يستطيع المجاهد أن يجعل أسلَة اليراع طيّعة حين يكتب قصّة حياته؛ فهي عبارة عن إنسان يعلم أنّه يترك آثاراً عظيمة في الحياة، ويرحل عنها بجسمه؛ لتبقى روحه وآثاره ما بقي الدهر تملأ آفاق الدنيا جمالاً وحبًّا وحياة ونشاطًا؛ ولكنّه لم يدوّنها على الورق، ولكن دوّنها على الأرض بدمه بعد أن عاهد الله وتوكّل عليه؛ وهو ملتزم بما قاله سيده ومولاه: ((عهدٌ عهده اليَّ أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾))[٣٣]. والمجاهد بتوكله على الله ملتزم بوصايا المرجعيّة التي تقول إحداهنّ: الله الله في اتّهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرماتهم، كما وقع فيه الخوارج في العصر الأوّل وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجيّاتهم وأهوائهم وبرّروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم، واعلموا إنّ من شهد الشهادتين كان مسلماً يُعصَم دمُه ومالُه وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة، فما كلّ ضلالة بالتي توجب الكفر، ولا كلّ بدعة تؤدي إلى نفي صفة الإسلام عن صاحبها، وربّما استوجب المرء القتل بفساد أو قصاص وكان مسلماً، وقد قال الله سبحانه مخاطباً المجاهدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤). واستفاضت الآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام نهيه عن تكفير عامّة أهل حربه ـ كما كان يميل إليه طلائع الخوارج في معسكره ـ بل كان يقول إنّهم قوم وقعوا في الشبهة، وإن لم يبرّر ذلك صنيعهم ولم يصحّح عُذراً لهم في قبيح فعالهم؛ ففي الأثر المعتبر عن الإمام الصادق عن

أبيه عليه السلام: ((أنّ علياً عليه السلام لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكن يقول: هم أخواننا بغوا علينا))[٣٤]، ((وكان يقول لأهل حربه: إنّا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا))[٣٥].

١٠- صورة البكاء على الحسين: وهو خير سلاح يتسلّح به لتسمو به نفسه إلى أعلى مستويات المشاعر الإنسانيّة. عن الصادق عليه السلام قال: ((نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّه جهاد في سبيل الله))[٣٦]؛ فالمجاهد يشعر بأنّ الفراق والفقدان لا ينحسر عليه فحسب، وإنّما يشمل الأرض والسماء والشمس والقمر؛ قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ (الدخان: ٢٩)؛ فهذه الدموع الحرّى تنزل حبًّا وتقرّبًا إلى الله.

١١- صورة الغيرة والشهامة: عندما يمرّ في ذهن المجاهد صورة الإمام العباس عليه السلام؛ وهو ابنُ أبي الحسين، وشقيق روح الإمام الحسين؛ يرى الأعداء وقد أحاطت به أوغاد بني أميّة وذيولهم؛ لتتقرّب بقتله إلى سليل الأدعياء ابن مرجانة؛ وقد هدّ الحزن قلب أبي الفضل العباس؛ وودّ لو أنّ المنيّة أخذته قبل أن يشاهد تلك الفواجع المذهلة التي ألّمت بإخوته ومناصريهم، وسيوف الفسق والمجون قد تطاولت على الدرر اللامعة والبدور الزاهرة. إذ كان في كلّ لحظة يدمى قلبه برؤية شابٍّ، أو غلام لم يراهق الحلم من أهل بيته، أو أنين طفلة عطشى تتضوّر ألماً؛ وعينها ترنو إلى هذا الضيغم الهمام؛ فالمجاهد يحاول أن يتلمّس طريق الإمام العبّاس في جلب الخير لشعبه والدفاع عنهم، وبذل روحه في سبيل الوطن، وتطهير ترابه الّذي امتزج بدم الحسين؛ والمجاهد في الوقت نفسه ملتزم بوصيّة المرجعيّة القائلة: وكونوا لمن قِبَلكم من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوّكم، بل أعينوا ضعفاءهم ما استطعتم، فإنّهم إخوانكم وأهاليكم، وأشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم، واعلموا أنّكم بعين الله سبحانه، يحصي أفعالكم ويعلم نياتكم ويختبر أحوالكم.

١٢- صورة تمثّل روحيّة أصحاب الحسين: القضيّة الحسينيّة ذات أصول ثابتة في العمق الإسلاميّ؛ لأنها لم تتخذ بعداً جديداً أو سلوكاً فريداً، أو مثالاً لاعلاقة له بالأمّة أو

التاريخ، وإنّما كانت القضيّة الحسينيّة إعادة للحياة النبويّة بأكملها، وترجمة للروح القرآنية بكلّ شموليتها. ولّما كانت الساحة الكربلائيّة عبارة عن ساحة بدر، وأحد، وحنين، والخندق، أكّد الإمام الحسين مقولته الشهيرة، أنّ أصحابه أفضل الأصحاب على الإطلاق إلى جانب ما أفرز المجتمع الإسلاميّ من أمثلة حازت الدرجات العلى في العشق والشهادة؛ فقد ذكرهم بخطبته المعروفة، ووصفهم بحكمته الموصوفة؛ ومعلوم عنه أنّه إمام معصوم لا يلقي الكلام على عواهنه، وإنّما يرسله مسؤولاً عنه أمام الله وأمام التاريخ؛ فقال عليه السلام: ((إنّي لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي))[٣٧]. لذا المجاهد يتمثل روح أصحاب الحسين؛ وهو يقاتل مع أفراد فوجه، أو سريته، أو فصيله؛ وهم يؤدّون واجباتهم أداءًا سليمًا؛ كلّ في ما يخصّه؛ ثمّ إنّهم يتعاونون في ما بينهم تعاونًا وثيقًا بحيث يعملون جميعًا على أنّهم وحدة مترابطة متماسكة.لذا يكون المجاهد حريصًا على تمثّل روحيّة أصحاب الحسين حين يلتزم بوصيّة المرجعيّة الّتي تقول: واحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلُق النبيّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً، حتّى تكونوا للإسلام زيناً ولقيمه مَثَلاً، فإنّ هذا الدين بُنيَ على ضياء الفطرة وشهادة العقل ورجاحة الأخلاق، ويكفي منبّهاً على ذلك أنّه رفع راية التعقّل والأخلاق الفاضلة، فهو يرتكز في أصوله على الدعوة إلى التأمّل والتفكير في أبعاد هذه الحياة وآفاقها، ثمّ الاعتبار بها والعمل بموجبها كما يرتكز في نظامه التشريعيّ على إثارة دفائن العقول وقواعد الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١ – ١٠)؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فبعث الله فيهم رسله وواتر أنبياءه إليهم ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّرهم منسيّ نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول))[٣٨]، ولو تفقّه أهل الإسلام وعملوا بتعاليمه لظهرت لهم البركات وعمّ ضياؤها في الآفاق، وإياكم والتشبّث ببعض ما تشابه من الأحداث والنصوص؛ فإنّها لو ردّت إلى الذين يستنبطونه من

أهل العلم ـ كما أمر الله سبحانه ـ لعلموا سبيلها ومغزاها.

الخاتمة:

الصورة الأخيرة ـ لذة اللقاء:

المجاهد هو الذي يعبر الجسر الّذي يوصِل إلى عالم الخلود الأبديّ؛ ففيه منزلة ترتقي إلى منزلة الأنبياء والأولياء؛ أي: إنّه يتعامل مع الحقائق لا مع سفاسف الأمور؛ فهو قد ترك الدنيا لأهلها، وذهب إلى مكانه الطبيعيّ، ومستقرّه الأبديّ؛ فالمجاهدون هم الوحيدون الذين يفدون أنفسهم قرابين في سبيل الله؛ ويحاولون الولوج إلى عالم لا يمكن لأيّ أحد في عالم الدنيا أن يتخيّله، أو يتصوّر شيئًا منه؛ ولو بمقدار ذرّة؛ لأنّهم الوحيدون الّذين يشعرون بلذة اللقاء.

هوامش البحث

(١) وهي فتوى الجهاد الكفائيّ التي بثت في الفضائيات على لسان ممثل المرجعية في الصحن الحسينيّ الشريف عقب احتلال (داعش) لمحافظة نينوى والمدن المجاورة لها بتأريخ :٨/١١ (شعبان) /١٤٣٥ هجرية الموافق ١٣/ ٦(حزيران) /٢٠١٤ ميلادية.

(٢) نهج البلاغة: ٤٧٢.

(٣) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ٢٣٦، الخطبة ١٩٢، وهي التي تسمّى القاصعة.

(٤) مستدرك الوسائل: ٨٩/١٧.

(٥) بحار الأنوار: مجلد ٣٣الباب ٤٤١/٢٨.

(٦) نهج البلاغة، خطبة٢٧، ص:٩٠.

(٧) وسائل الشيعة، مجلد١١، ص٩، أبواب جهاد العدوّ، ح١٥.

(٨) وسائل الشيعة، ج١١، ص٩٢، باب ٤٦، ح٨.

(٩) كنز العمال: ١٠٥٢٧.

(١٠) بحار الأنوار: مجلد٩٧، ص٢٣، ح١٥.

(١١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣١٩.

(١٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣٢٠.

(١٣) نهج البلاغة: ٣٢٢.

(١٤) تمام نهج البلاغة، تحقيق صادق الموسويّ: ج٥/٤٩٢.

(١٥) تمام نهج البلاغة: ج٥/٤٩٥.
(١٦) نهج البلاغة: ٤٧٢.
(١٧) نهج البلاغة: ٤٧٢.
(١٨) الكامل لابن الأثير: ٤/٢٥، وتاريخ ابن عساكر ٤/٢٣٣، وذكر الكفعمي في المصباح /١٥٨، طبعة الهند: أنّ النبيّ ﷺ دعا به يوم بدر. واختصره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٢.
(١٩) الكامل لابن الأثير: ٤/٢٦.
(٢٠) نهج البلاغة: ٤٧٢.
(٢١) الكامل لابن الأثير: ٤/٢٦.
(٢٢) غرر الحكم للإمام عليّ.
(٢٣) نهج البلاغة، خ٩٦،ص٢١٧.
(٢٤)
(٢٥) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: ج٢/٣٤٢.
(٢٦) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥.
(٢٧) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٥.
(٢٨) غرر الحكم
٢٩) نهج البلاغة، خ٢٧، ص٨٩.
(٣٠) نهج البلاغة: ٤٦٧.
(٣١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٣.
(٣٢) وسائل الشيعة: ج١١/٤٣.
٣٣) تاريخ الطبري: ج٤/٤٣٣.
(٣٤) تاريخ الطبري: ج٣٢/ ص٢٩٨.
(٣٥) تاريخ الطبري: ج٣٢/٢٩٨.
(٣٦) أمالي المفيد: ٢٠٠.
(٣٧) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٥.
(٣٨) نهج البلاغة: ٤٣٦.

قائمة المصادر والمراجع

١- الأمالي، الشيخ المفيد فخر الشيعة أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ(ت٤١٣هـ)، دار التيار الجديد، دار المرتضى.

٢- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،تأليف: العلامة محمد باقر المجلسي،الناشر: إحياء الكتب الإسلامية.

٣- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٤- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها لحافظ الدنيا: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١هـ) الناشر: دار الفكر.

٥- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.

٦- تمام نهج البلاغة، تحقيق السيّد صادق الموسويّ، الدار الإسلاميّة، بيروت.

٧- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه، تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، حققه وعلق عليه: السيد حسن الموسوي الخرسان، نهض بمشروعه: الشيخ علي الاخوندي،الناشر: دار الكتب الإسلامية،الطبعة: الأولى ١٣٩٠هـ

٨- سير أعلام النبلاء، تأليف الإمام شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي توفي ٧٤٨هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. أشرف على التحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط.

٩- الكامل في التاريخ، تأليف عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير. صحّح أصوله: عبد الوهاب النجار. القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٠- كنز العمال: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،تأليف: المتقي الهندي، المحقق: صفوت السقا - بكري الحياني، الناشر: مؤسّسة الرسالة.

١١- مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل،تأليف: الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٢- مصباح الكفعمي (جنة الأمان الواقية و جنة الإيمان الباقية)، تأليف: الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي، مؤسّسة النعمان.

١٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، المحدث الشيخ محمّد بن الحسن (الحرّ العامليّ) - تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبع ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران، قم.

❖ فتوى الجهاد الكفائيّ التي بثت في الفضائيات على لسان ممثل المرجعية في الصحن الحسينيّ الشريف عقب احتلال (داعش) لمحافظة نينوى والمدن المجاورة لها بتأريخ: ٨/١١ (شعبان)/ ١٤٣٥هجرية = ٦/١٣ (حزيران) /٢٠١٤ ميلادية.

❖ وصايا المرجعية؛ طبعتها العتبة العلويّة المقدّسة في كرّاس صغير.